

قبل يومين أو ثلاثة مرّ الثاني عشر من ربيع الأول وهو تاريخ ميلاد النبي ﷺ. إن عددًا كبيرًا من المسلمين في العالم يحتفلون بهذا اليوم بمنتهى الحماس، كما يولي بعض المسلمين في باكستان -بل في شبه القارة الهندية كلها- هذا اليوم اهتمامًا خاصًا. يكتب إلي بعض معارضي الجماعة، كما يسألون أفراد الجماعة، معترضين: لم لا يحتفل الأحمديون بهذا اليوم باهتمام؟ لذلك أردت أن أحدثكم اليوم حول هذا الموضوع وسأخبركم ماذا قال المسيح الموعود ﷺ في هذا الخصوص، وبالتالي سيتبين بوضوح أن المسلمين الأحمديين وحدهم يعرفون مكانة هذا اليوم المبارك.

ولكن قبل أن أقرأ عليكم قولاً من كلام المسيح الموعود ﷺ أود أن أخبركم متى بدأت الاحتفالات بمولد النبي ﷺ وما تاريخها. من المعروف أن بعض الفرق الإسلامية أيضاً لا تحتفل بمولد النبي ﷺ، وكان الناس في القرون الثلاثة الأولى -التي هي خير القرون في تاريخ الإسلام- يحبون النبي ﷺ حبا عظيماً، لأنهم كانوا يدركون حق الإدراك ما هي سنة النبي ﷺ، وكانوا أحرص الناس على العمل بشريعة النبي ﷺ

## الاحتفال بمولد النبي ﷺ سنة أم بدعة

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزاسرور أحمد

أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي ﷺ

يوم ٢٠٠٩/٠٣/١٣

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ \* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ \* اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

ترجمة: المكتب العربي

يقال إن «عبد الله بن محمد بن عبد الله القداح»، هو من بدأ هذه الاحتفالات. إن أتباعه يُسمَّون فاطميين وينتسبون إلى سلالة سيدنا علي عليه السلام، وقد حكموا مصر في عام ٣٦٢ الهجري. ويُعتبر هذا الرجل من مؤسسي المذهب الباطني. والمذهب الباطني يقول إن جوانب من الشريعة تكون ظاهرة بيّنة وبعض جوانبها تكون خفية.

الأنبياء، لكن إذا أضيفت إلى هذا الذكر بدعات تحالف وحدانية الله تعالى فلا يجوز هذا الاحتفال. عليكم أن تُنزلوا الله منزله، وتنزلوا الرسول منزله. إن كلام مشايخ العصر يحتوي على بدعات كثيرة تعارض مشيئة الله تعالى. ولكن إذا لم يكن في الكلام أية بدعة فإنه مجرد وعظ. إذا تحدّث المرء في احتفال عن بعثة النبي صلى الله عليه وآله وولادته ووفاته فهذا مجلبة للشواب. لا يحق لنا أن نخترع من عندنا شريعة أو كتاباً. إذا فإن هؤلاء القوم قد أحدثوا أموراً كثيرة في هذه المسألة. إذا كان قصدهم من هذه الاحتفالات بيان سيرة النبي صلى الله عليه وآله فقط فلا شك أنه أمر حسن، لكن الذي يحدث على أرض الواقع في باكستان والهند في

النصف منه، وأول ليلة من شعبان، ثم ليلة الحتم (أي ختم القرآن). كما أن هناك احتفالات كثيرة في رمضان وغيره كانوا ابتدعوها في الإسلام وكانوا يحتفلون بها. هناك مجموعة من الفرق الإسلامية التي لا تحتفل بمولد النبي صلى الله عليه وآله أبداً، بل يعتبرونه بدعة، بينما تطرّف الآخرون وبالغوا في الأمر إلى أقصى حد. والآن سنرى ماذا قال بهذا الخصوص إمام هذا العصر الذي أرسله الله حكماً عدلاً؛ لقد سئل المسيح الموعود عليه السلام عن الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وآله فقال: إن ذكر سيرة النبي صلى الله عليه وآله أمر رائع، بل قد ثبت من الحديث أن رحمة الله تنزل بذكر الأنبياء والأولياء، كما حث الله تعالى بنفسه على ذكر

وستته؛ ورغم ذلك يفيدنا التاريخ أنه لم تكن في زمن الصحابة أو التابعين الذين عاصروا الصحابة أية فكرة عن الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وآله، بل يقال إن «عبد الله بن محمد بن عبد الله القداح» هو من بدأ هذه الاحتفالات. إن أتباعه يُسمَّون فاطميين وينتسبون إلى سلالة سيدنا علي عليه السلام، وقد حكموا مصر في عام ٣٦٢ الهجري. ويُعتبر هذا الرجل من مؤسسي المذهب الباطني. والمذهب الباطني يقول إن جوانب من الشريعة تكون ظاهرة بيّنة وبعض جوانبها تكون خفية. وهم يفسرون هذه الجوانب الخفية حسبما يحلو لهم، فيباح عندهم قتل المعارضين خداعاً. وهناك أمور أخرى وبدعات ومستحدثات كثيرة أدخلوها في الإسلام. إذا فأول من بدأ الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وآله هم أتباع المذهب الباطني. ولا شك أن الطريقة التي بدأوا بها هذا الاحتفال بدعة. كانوا يحتفلون بأيام وأعياد كثيرة، منها يوم عاشوراء وميلاد النبي صلى الله عليه وآله وميلاد علي وميلاد الحسن وميلاد الحسين وميلاد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، كما يحتفلون بأول ليلة من شهر رجب وبليلة

هذا العصر هو أنهم، بدلاً من بيان سيرة النبي ﷺ في هذه الاحتفالات، يُضفون عليها صبغة سياسية أو يتخذونها وسيلة للإساءة إلى الخصوم، ولا يكتفي هؤلاء المشايخ، في هذه الاحتفالات التي يقيمونها في باكستان، ببيان السيرة فقط، بل في كل مكان يتحدثون ضد الجماعة الإسلامية الأحمدية وضد شخص المسيح الموعود ﷺ. بمنتهى الوقاحة والاستهزاء. ففي الأيام الماضية أقام المشايخ مثل هذا الاحتفال في ربوة، ثم خرجوا في تظاهرة، وتؤكد التقارير الواردة أنهم أقاموا هذا الاجتماع لأغراض سياسية وإظهارا للبعض والحق ضد المسلمين الأحمديين. ومثل هذه الاحتفالات لا تجدي أي نفع. إن النبي ﷺ قد أرسلَ رحمةً للعالمين، ونعلم من أسوته أنه كان يدعو الله تعالى للأعداء باكياً. يروي أحد الصحابة: لقد سنحت لي الفرصة لأقوم مع النبي ﷺ ليلاً، فرأيت أنه ﷺ ظل يدعو الله ﷻ أن يغفر هؤلاء القوم ويلهمهم الرشد والصواب. أما مشايخ هذا العصر فيستخدمون أقبح الكلمات ضد "القاديانيين" - كما يسموننا نحن المسلمين الأحمديين - ويتهمونا

بأشنع التهم، بدلاً من أن يعملوا بسنة النبي ﷺ هذه ويتأسوا بأسوته. نجد في أسوة النبي ﷺ أن أحد الصحابة تمكن من كافر أثناء الحرب وقتله حتى بعد أن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فقال له النبي ﷺ: هلا شققت عن قلبه؟ فما زال يكرّر ذلك حتى تمنى ذلك الصحابي أن لا يكون قد أسلم قبل ذلك اليوم. أما هؤلاء المشايخ فأعمالهم وتصرفاتهم تنافي هذه الأسوة النبوية تماماً.

على كل حال، هذه أعمالهم، فليفعلوا ما يحلو لهم. أقدم لكم الآن ما قاله المسيح الموعود ﷺ:

إن ذكر النبي ﷺ أمر رائع، ولا شك أنه يزيد المرء حباً به، ويحمسه لاتباعه ﷺ. هناك في القرآن الكريم ذكر لبعض الأنبياء، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ كُرِّ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ (مریم: ٤٢)، ولكن إذا أضيف البدع إلى هذا الذكر أصبح حراماً. ثم يقول حضرته ﷺ:

اعلموا أن الهدف الحقيقي للإسلام هو التوحيد، بينما نجد أن الذين يعتقدون الاحتفالات بمولد النبي ﷺ في العصر الراهن قد استحدثوا فيها أموراً كثيرة، الأمر الذي جعل

هذا العمل المباح الجالب لرحمة الله أمراً سيئاً. لا شك أن ذكر النبي ﷺ رحمة، لكن الأمور غير الشرعية والمستحذات تنافي مشيئة الله. ليس من حقنا أن نؤسس شريعة جديدة، ولكن هذا ما يحدث في هذه الأيام، فإن كل إنسان يريد أن يصوغ الشريعة بحيث تتفق مع أفكاره وميوله، فكأنه بنفسه يضع شريعة جديدة. لقد مال الناس إلى الإفراط والتفريط في هذه المسألة أيضاً، إذ يقول البعض لجهلهم إن ذكر النبي ﷺ حرام أصلاً. هذا حمقهم، لأن تحريمهم ذكر النبي ﷺ جسارة كبيرة. الواقع أن الاتباع الحقيقي للنبي ﷺ يجعل الإنسان محبوباً لله، والذكر يحمّس للاتباع ويرغب فيه، فمن أحب شيئاً أكثر ذكره. غير أن الذين يقفون قائمين أثناء الاحتفال بمولد النبي ﷺ إيماناً منهم بأنه ﷺ قد حضر مجلسهم فهذه جسارة منهم.

(علماً أن إحدى البدع التي أتوتها في هذه الاحتفالات أنهم في أثناء خطاب بعض الخطباء يقفون من مقامهم ويقولون: ها قد حضر النبي ﷺ، فعن هؤلاء يقول حضرته ﷺ: إن ظنهم هذا جسارة كبيرة منهم) وقد لوحظ أنه يحضر هذه المجالس

الرسول ﷺ. إذا كان هؤلاء يريدون اتباع النبي ﷺ فهل بوسعهم أن يثبتوا لنا من سنته ﷺ أنه قرأ القرآن مثلهم على أرغفة قط؟ لو كان النبي ﷺ قد قرأ القرآن على رغيف واحد لقرأناه على ألف رغيف أتباعا له ﷺ. كلا، بل لقد كان النبي ﷺ يسمع القرآن ممن له صوت جميل، وقد بكى مرة حين سمع من شخص قول الله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾. لا شك أن النبي ﷺ كان يسمع القرآن من الصحابة، وقد بكى حين سمع هذه الآية نتيجة تواضعه العظيم وحبه الكبير لله تعالى الذي منحه هذه المكانة المرموقة.

يقول سيدنا المسيح الموعود ﷺ: "حين سمع ﷺ هذه الآية بكى وقال للصحابي كفى! لا أستطيع أن أسمع أكثر من هذا. وأغلب الظن أنه ﷺ بكى لأنه فكر أن سيكون شهيدا على هؤلاء. أنا أيضا أتمنى دائما أن أسمع القرآن ممن يحفظه ويقرأه بصوت جميل". هكذا يكون اتباع النبي ﷺ.

ثم يقول حضرته ﷺ: "لقد قدم لنا رسول الله ﷺ أسوة في جميع مناحي الحياة، ويجب أن نتأسى بها، ويكفي المؤمن الصادق أن يتأكد ما إذا كان

الشرك فهي الأخرى خالية من الروحانية، فليس في نصيهم إلا عبادة القبور. أرى أن ذكر النبي ﷺ ليس حراما كما يزعم الوهابيون، بل إنه طريق جميل للحث على اتباعه ﷺ، وإنما تحرم البدع الوثنية التي يبتدعها الناس.

وكذلك أملى حضرته ﷺ رداً على أحد المتسائلين فقال: في رأيي أنه إذا لم يكن هناك بدعات، بل عقد حفل لبيان سيرة النبي ﷺ وإلقاء القصائد في مدحه ﷺ بصوت جميل فلا بأس. يمثل هذه الحفلات، بل هي جيدة جدا ويجب أن تقام.

أما كيف كان المسيح الموعود ﷺ يطمح في إقامة حفلات زينتها حب النبي ﷺ وعشقه، أو كيف كان يريد أن يتكلم في هذا المجال، فيقول حضرته مشيراً إلى قوله تعالى ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾:

هل قرأ النبي ﷺ القرآن على طعام كما يفعل المشايخ في العصر الراهن حيث يعقدون احتفالات مليئة بالبدع، ويقرأون القرآن على أرغفة تُوزع على الحضور إيماناً منهم أن هذا الخبز مبارك جداً لأنه قد وُزِعَ بمناسبة مولد النبي ﷺ. بينما يقول الله تعالى إذا كنتم تبغون حبه تعالى فاتبعوا

بكثره أناس يتركون الصلاة ويأكلون الربا ويشربون الخمر، (أي يحضر فيه أناس لا يؤدون الصلوات الخمس، أو بعضهم لا يصلونها مطلقاً، ولا يحضرون المسجد إلا في صلاة العيد) فما علاقة النبي ﷺ بمثل هذه الاحتفالات؟ والحق أن هؤلاء لا يحضرون هذه المجالس إلا للتفرج.

لذا فمثل هذه الأفكار لغو ليس إلا. فالذي يصبح وهابياً جافاً ولا يرسى عظمة النبي ﷺ في قلبه فلا دين له. إن الأنبياء -عليهم السلام- هم بمثابة غيث، يجمعون في أنفسهم أنواراً ومحاسن وبركات لأهل الدنيا، فمن الظلم اعتبارهم كأناس عاديين. والمرء يزداد إيماناً بإنشائه علاقات الحب مع الأنبياء والأولياء، حيث ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال مرة إن الجنة مكاناً سامياً وساكناً فيه، فلما سمعه صحابي كان يحبه كثيراً بدأ ييكي وقال له: يا سيدي إني أحبك.

فقال النبي ﷺ: ستكون معي. (ولعله خطر ببال هذا الصحابي أنه قد لا يكون مع النبي ﷺ في هذه الجنة، فقال له النبي ﷺ إذا كنت تحبني فستكون معي هناك.) يقول المسيح الموعود ﷺ:

أما الفئة الثانية التي اتخذت أساليب

هناك أقاويل شتى تُنشر عن أزواجه المطهرات وتؤلف كتبٌ مليئةٌ بأمور لا يطبق قراءتها أي شريف ونبيل، بل قد علق أحد المسيحيين في الولايات المتحدة الأمريكية على كتاب صدر حديثاً فقال إنه كتاب وقح لا تطاق قراءته. فكل هذه التهم التي تُلصق بالنبي ﷺ ليست بمجديدة بل قد رُمي بها على مر العصور. فحين أعلن النبوة زعم الكفار أنه قد قام بهذه الدعوى طمعاً في الدنيا، فأرسلوا إليه بواسطة عمه أن يكف عن ذكر أوثانهم بسوء وعن تبليغ دينه وإذا فعل ذلك فهم مستعدون أن يقبلوا سيادته عليهم، ويعطوه من الأموال ما شاء، ويزوجوه من أجمل فتاة في العرب. فردَّ ﷺ عليهم قائلاً: وَاللَّهِ لَوْ وَضَعْتُمُ الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي، عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ مَا تَرَكْتُهُ. وقال إنما بُعثت لأكشف عليهم مساوئهم وعيوبهم وأهديهم إلى الصراط المستقيم، ولو تطلب ذلك موتي فأنا أقبل الموت عن طيب خاطر. إن حياتي وقف في هذا السبيل ولا يمنعي من ذلك خوف، ولن يصرفني عن ذلك طمع. إذا فقد اعتبر أهل الدنيا.. على مر العصور.. المهمة التي كان النبي ﷺ ينجزها

وفي ضوء هذه التوجيهات للمسيح الموعود ﷺ سأتناول الآن في بقية الوقت بعض جوانب سيرة النبي ﷺ، لنسعى نحن أيضاً لتصبح جزءاً لا يتجزأ من حياتنا، وعندها فقط يمكن أن نفوز بحب الله تعالى باتباع النبي ﷺ - كما قال الله ﷻ في القرآن الكريم - وعندها ستُغفر لنا ذنوبنا، وعندئذ فقط تستجاب أدعيتنا. يسأل البعض هل يجوز اتخاذ النبي ﷺ وسيلةً أثناء الدعاء فأقول: إن اتباع سنته ﷺ وإنشاء علاقة الحب معه هي الوسيلة للفوز برضا الله تعالى. وقد علمنا في الدعاء بعد الأذان أن نطلب له الوسيلة. والآية التي قرأناها والتي اقتبس المسيح الموعود ﷺ جزءاً منها هي كالآتي: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (آل عمران ٣٢)

فتعالوا نر ما هي السنة التي سنّها لنا رسول الله ﷺ والتي يجب أن نتبعها، وما هي أعماله التي قام بها أمام الصحابة ووصلت إلينا بالروايات. إن أهل الدنيا يتهمونه ﷺ أنه - والعياذ بالله - شنّ الحروب طمعاً في السلطة، فكان يستولي على منطقة ويفرض عليها سيطرته. ثم

النبي ﷺ قد قام بالعمل أم لا، أو أمر به أم لا إذا لم يكن قد عمل به ﷺ. فمثلاً كان إبراهيم الخليل ﷺ الجد الأكبر للنبي ﷺ وكان جديراً بالتعظيم، فلاي سبب لم يحتفل ﷺ بمولده ﷺ؟

وخلاصة القول إن عقد جلسة أو إقامة حفلة بمناسبة يوم ميلاد النبي ﷺ ليس ممنوعاً بشرط أن لا تمارس فيها أي نوع من البدع، إنما ينبغي أن تُذكر فيها سيرة النبي ﷺ. ولا يكفي أن يُخصَّص لمثل هذه الاحتفالات يوم واحد في السنة، بل يمكن أن تُعقد مثل هذه الاجتماعات طوال العام لبيان سيرة حبيبنا ﷺ. وهذا ما تقوم به الجماعة الإسلامية الأحمدية حيث لا تكتفي بيوم واحد لبيان سيرة النبي ﷺ بل تقيم هذه الحفلات على مدار السنة. وإذا تُخصَّص يوم معين لعقد اجتماع لبيان سيرة النبي ﷺ في البلد كله وفي العالم بأسره فلا حرج فيه أيضاً، بشرط ألا تمارس أية مستحدثات، وألا يكون هناك اعتقاد بأننا قد حصلنا من هذه الجلسة من البركات ما فيه الكفاية، وأنه لا حاجة لنا لكسب المزيد من الحسنات كما يزعم البعض. فينبغي ألا يكون هناك إفراط ولا تفريط.

**فهذا هو مقامه الرفيع الذي حققه باستغراقه في حب الله ﷻ من قمة الرأس إلى أخمص قدميه. لم يكن ﷻ يطمح في جاه وشرف ماديين بل كان همه إقامة ملكوت الله الأحد في الأرض.**

على نطاق واسع، حيث تقع مثل هذه الأحداث هنا وهناك من حين لآخر. وكذلك يُضطهد المسلمون الأحمديون في الهند أيضا في مناطق يكثر فيها المسلمون غير الأحمديين، وأكثر من يتعرض لتخويفهم وترهيبهم هم المنضمون الجدد إلى الجماعة. ولقد حدث ذلك في بعض البلاد الأوربية أيضا، إذ قد جاء في التقرير الوارد من بلغاريا أن المسلمين الأحمديين هناك قد تعرضوا للتخويف والترهيب بناء على تحريض مفتي المنطقة التي يكثر فيها المسلمون غير الأحمديين، فاعتقلت الشرطة ٧ أو ٨ من المسلمين الأحمديين بناء على تحريض المفتي المذكور، وعاملتهم بقسوة شديدة، ولكنهم ثابتون كلهم على الإيمان بفضل الله تعالى. فعلى كل أحمدي أن ينظر دائما إلى

تمكنكم من الفوز برضا الله ﷻ. فقد بلغ النبي ﷺ الدرجات العلى في صلواته وتضحياته وعباداته، مما كشف له مفاهيم جديدة للحياة والموت. وقد أمره الله تعالى أن يعلن للناس: ما لي ولهذه المطامع الدنيوية. أنا لا أبالي بتخويفكم، فإن كل عمل من أعمالي صار لوجه الله تعالى. ومن كان كله لله فإن الحياة الدنيا والموت لديه سيان. وبهذا الإعلان قد وجه النبي ﷺ أنظارنا إلى أسوته الحسنة، وعلينا أن نسعى للتأسي بما عملا بقوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يَحْبِبَّكُمْ اللَّهُ﴾. هناك محاولات تتم في كثير من بلاد العالم لتخويف أبناء الجماعة الإسلامية الأحمدية بالمخاوف المذكورة أعلاه. هذه الظاهرة منتشرة في باكستان

من أجل الله وبأمر الله هدفا دنيويا ماديا. وقد قدم الكفار له عروضاً هائلة فرفضها، وبذلك برهن على أنه لا يريد جاه الدنيا وأموالها، وإنما بُعث من رب السماوات والأرض، وأنه هو النبي الأخير الذي سيرفع في العالم كله راية الإله القادر القوي الأحد الفرد. وقد أعلن الله هذا الأمر -على لسانه- حيث أمره: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٣)

فهذا هو مقامه الرفيع الذي حققه باستغراقه في حب الله ﷻ من قمة الرأس إلى أخمص قدميه. لم يكن ﷻ يطمح في جاه وشرف ماديين بل كان همه إقامة ملكوت الله الأحد في الأرض. وقد تحمل في هذا السبيل كل أذى، وقال للناس إذا كنتم تريدون الحياة الأبدية فاتبعوني، واسعوا جاهدين لأداء حق الصلاة وبلوغ المستويات العليا فيها التي حددتها لكم. فالاستغراق في العبادة يمثل ضمانا للحياة. وبتقديم التضحيات موتوا قبل أن تموتوا الموت الحقيقي.. ذلك الموت الذي ضربت لكم أسمى الأمثلة له. وإذا أصابكم الموت في هذه الحالة فستبدأ الحياة الأبدية التي



**أي أن كل حركة للمؤمن وكل سَكَنَة يمكن أن تتحول إلى عبادة الله تعالى شريطة أن تكون خالصة لوجه الله تعالى وتدفعه إلى ذكره ﷻ، وأن تصدر إيماناً منه أنها ستكون ذريعة لقرب الله ﷻ.**

ما تعرّض له النبي ﷺ وأصحابه من تعذيب واضطهاد. والحق أننا لم نتعرض بعدُ لعُشْرِ معشار ما لقيه أولئك القوم. ولو فهمنا هذا الأمر جيداً وجعلنا عباداتنا وتضحياتنا خالصة لوجه الله تعالى متمسكين بمبدأ أن حياتنا ومماتنا لله رب العالمين، لنال كل واحد منا الحياة الأبدية، وتمكّن من إحياء آلاف النفوس الميتة.

قلبي". (البخاري، باب قيام النبي ﷺ بالليل).. أي أنّ قلبه يظل متيقظاً. ثم ماذا كان يشغل به في حالة يقظة القلب؟ إنما كان يذكر الله تعالى دائماً، وكلما تقلب في فراشه ذكر الله تعالى.

والأدعية التي دعا النبي ﷺ بها في مختلف الحالات والمناسبات وعلمنا إياها بأسوته العملية.. أيضاً تبين لنا أن ذكر الله وعبادته كان شعاره ودفاره ﷻ. هذا هو المبدأ الذي علمنا النبي ﷺ إياه.. أي أن كل حركة للمؤمن وكل سَكَنَة يمكن أن تتحول إلى عبادة الله تعالى شريطة أن تكون خالصة لوجه الله تعالى وتدفعه إلى ذكره ﷻ، وأن تصدر إيماناً منه أنها ستكون ذريعة لقرب الله ﷻ. فمثلاً، ذهب النبي ﷺ ذات مرة إلى بيت بعض أصحابه الذي

ففي هذه الرواية تخبرنا السيدة عائشة من كان المحبوب الحقيقي للنبي ﷺ. صحيح أن رسول الله ﷺ كان يحبها لكونها زوجة له، ولكن من كان محبوبه الحقيقي؟ تروي السيدة عائشة في هذا الصدد: كان النبي ﷺ في بيتي في ليلتي - علماً أن هذه الليلة كانت تأتي بعد تسعة أيام- وحين استيقظت لم أجد النبي ﷺ على الفراش، فخرجت مذعورة إلى باحة الدار، وإذ بالنبي ﷺ في السجود وهو يقول: اللهم سجداً لك روحي وقلبي.

هكذا كان النبي ﷺ يتضرع أمام محبوبه الحقيقي. وهذا هو الرد على هؤلاء الذين يرمونه ﷺ بتهم شنيعة.

ثم يقول النبي ﷺ في وصف حالة نومه: "إِنَّ عَيْنِي تَنَامَانٍ وَلَا يَنَامُ

فأولاً وقبل كل شيء يجب على كل أحمدي أن يركّز على الدعاء، ويعيش في الدنيا متأسبياً بأسوة النبي ﷺ. فإذا كانت أعمالنا صالحة وتأسينا بأسوة النبي ﷺ، عندها فقط نتمكن من إحياء بقية أهل الدنيا، إضافة إلى حياتنا نحن. فلا بد لنا من أن نرفع مستوى عباداتنا متأسين بالأسوة الحسنة التي تركها لنا النبي ﷺ.

ولكن ما هي تلك المعايير التي وضعها النبي ﷺ لنا بهذا الصدد؟ هناك رواية عن السيدة عائشة رضي الله عنها - وقبل ذكرها أود أن أوضح هنا أن الكتاب الذي أشرت إليه قبل قليل (أنه طبع في أمريكا) قد تمت فيه محاولات مشينة للإساءة إلى النبي ﷺ استناداً إلى بعض المرويات المنسوبة إلى عائشة رضي الله عنها-

كان قد بنى بيتا جديدا، فرأى ﷺ فيه نافذة، فسأله: لماذا وضعت هذه النافذة - الواضح أنه ﷺ وجه إليه هذا السؤال من أجل تربيته وتعليمه إذ كان يعرف لماذا توضع النوافذ في البيوت - فقال الصحابي: لكي يدخل منها الهواء والضوء. فقال ﷺ: هذا صحيح تماما، ولكن لو قصدت بها سماع الأذان أيضا لتذهب للصلاة لحققت حتما المهدين اللذين ذكرتهما، كما نلت الأجر والثواب أيضا.

وفي رواية أخرى أن رسول الله ﷺ قال: إِنَّكَ لَنْ تُنْفَقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلَ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ (البخاري، كتاب الإيمان). ليس المراد من ذلك الحث على وضع اللقمة فقط في فم الزوجة، بل المراد ضرورة عناية المرء بأهله وأولاده وسد حاجاتهم. من المعلوم أنه من واجب الرجل أن يتحمل مسؤوليات البيت كلها، ولكنه لو أداها آخذاً في الحسبان أن الله تعالى هو الذي حمّله هذه المسؤولية وعليه أن يؤدي لوجهه تعالى حق الزوجة التي جاءت إلى بيته تاركة بيت أهلها.. ويؤدي حق الأولاد، لنال على عمله هذا اجرا

وثوبا كما صار عمله هذا عبادة. والحق أنه لو وضع كل واحد من المسلمين الأحمديين هذه الأفكار في الحسبان لاختفت كل أنواع الشجارات العائلية تلقائيا، إذ تنتبه الزوجة أيضا إلى أداء مسؤولياتها وتقول في نفسها: إن الله تعالى قد حمّلي مسؤولية خدمة زوجي وأداء حقوقه الأخرى. فقد بشر النبي ﷺ كلا الفريقين أنهما لو فعلا ذلك لوجه الله لنا لا رضا الله تعالى وأثيبا عليه. لذا فعلى الإنسان أن يتنبه إلى هذه الأمور وإن كانت صغيرة في الظاهر، فإنها هي التي تجعل البيت نموذجا للجنة.

هناك رواية أخرى عن عائشة - رضي الله عنها - عن عبادة النبي ﷺ تقول: رأيت النبي في إحدى الليالي يدعو الله تعالى ساجدا في صلاة التهجد بهذه الكلمات: "سجد لك خيالي وسوادي، وآمن بك فؤادي، رب هذه يدي وما جئيتُ بها على نفسي. يا عظيم يرجى لكل عظيم، يا عظيم اغفر الذنب العظيم." قالت: فرفع رأسه... فقال: إن جبريل أتاني فأمرني أن أقول هذه الكلمات التي سمعت، فقوليها في سجودك. (مسند أبي يعلى، مسند

سعيد بن سنان) انظروا كيف يُعبر عبدُ الله الكاملُ عن عبوديته الكاملة له، ذلك العبدُ الكاملُ الذي أمره الله تعالى أن يعلن للناس إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، فأعلن بين الناس أنه ليس هناك عملٌ أقوم به برغبتي أو لنفسي ومصلحتي الشخصية، بل إن كل ما أقوم به إنما هو لله تعالى. فيدعو النبي ﷺ بكل تواضع وخشية ويقول: رب قد ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي.

الحق أن هذه الأمثلة قد ضربت من أجلنا نحن لنستفيد منها، وألا نفتخر بأي عمل حسن نقوم به. يجب ألا نصاب بالعجب والغرور بل يجب أن نكون عباد الله المتواضعين، نخضع له ونطلب منه رحمته دائما.

ثم هناك جانب آخر من سيرته ﷺ أتناوله الآن، وهذا الجانب يتعلق بالعدل والمساواة. يقول النبي ﷺ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا ارتكب فيهم الشريفُ جريمة تَرَكُوهُ، وَإِذَا ارتكبها فيهم الضعيفُ عاقبوه، وهذا يجب ألا يحدث في أممي.

لو أمعنا النظر فيما يحدث اليوم لوجدنا هذه الظاهرة شائعة على



نطاق واسع. ولكن اليوم أصبحت عدم المساواة ظاهرة منتشرة بين المسلمين. في زمن النبي ﷺ سرقت امرأة من قبيلة شريفة وكانت تُدعى فاطمة، فأمر النبي ﷺ بتنفيذ حد السرقة عليها. فأراد الصحابة إنقاذها ولكن لم يتشجع أحد منهم ليكلم النبي ﷺ في شأنها، فأرسلوا أسامة بن زيد ليشفع لها. فلما شفع لها احمر وجه النبي ﷺ وقال: لو سرقت بنتي فاطمة لأقمتُ عليها الحد نفسه. هذا هو معيار العدل والقسط الذي أقامه النبي ﷺ.

يقول أبو ذر الغفاري: ذهبتِ بفتيتين إلى النبي ﷺ وقلت: إنهما يريان أهما يصلحان لجمع أموال الزكاة، وأنا أزكيهما أيضا. فقال النبي ﷺ: يا أبا ذر، لا نعطي أحدا الإمارة عن مسألة، لأنه إذا أعطى الله تعالى أحدا الإمارة أعانه عليها.. أي إذا وُكِّلَ أحدٌ بخدمة دون مسألة وفقه لأدائها على أحسن وجه وأعانه عليها وبارك في عمله، وإن أُوتِيَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِّلَ إِلَيْهَا. وكان الله تعالى يقول إنك طلبتَ هذا المنصب ظنا منك أنك أهل له ورغبةً منك فيه، والآن يجب أن تتحمل كل

المسؤوليات المنوطة به وسأرى كيف تقوم به حق الأداء. إذن، فإن الرغبة في الحصول على منصب راجعة إلى الاعتداد بالنفس. والله تعالى لا يحب أن يقدم الإنسان نفسه لمنصب. نرى أحيانا في بعض فروع الجماعة التي تفتقر إلى التربية الكافية أن بعض الناس يرغبون في المناصب لعدم علمهم بنظام الجماعة، وفي بعض الأحيان يصوتون لأنفسهم أيضا في أثناء انتخابات المسؤولين. لقد أصبح الإخوة مطلعين على نظام الجماعة وقواعدها المتعلقة بالانتخاب إلى حد كبير بفضل الله تعالى إلا ما شذ وندر، والمعلوم أن الجماعة تمنع بناءً على القول السالف للنبي ﷺ من أن يصوت الإنسان لنفسه، لأنه إذا أدلى بصوته لنفسه فكأنه يقول إني أنا الأنسب لهذا المنصب، فلا بد أن أتولاه. وفي بعض الأحيان لا يُدلي مثل هؤلاء الناس صوتهم لأنفسهم، لأن نظام الجماعة لا يسمح لهم بذلك، غير أنهم لا يدلونه في حق غيرهم أيضا. والحق أن عدم إدلاء الصوت أيضا يدل على أن صاحبه يحسب نفسه أحق للمنصب دون غيره، وإن كان لا يستطيع أن يصوت لنفسه بسبب

صرامة النظام غير أنه لا يدلي بصوته في حق أي شخص آخر أيضا. فيجب أن يتجنب الإنسان هذا التصرف أيضا، ولا بد من أخذ كل هذه الأمور بعين الاعتبار من منطلق التربية. فإذا كان أحد يتحلى بشيء من الكفاءة - سواء كانت علمية أو مهنية أو غيرها - فيمكنه استغلالها من خلال مساعدته لأصحاب المناصب، ويمكنه أن يخدم الجماعة بدون تقلد أي منصب أيضا. فإذا كان أحد يريد خدمة الجماعة ابتغاء رضا الله تعالى فلا يهمله تولي منصب مطلقا. لذا فيجب على جميع الأحمديين، بمن فيهم المباحون الجدد وغيرهم من الشباب والكبار في السن والقدامى أيضا، أن يتقيدوا بهذه المبادئ. ولقد رأيت أن بعض الأحمديين القدامى يتجاوزون الحدود أحيانا ظنًا منهم أنهم أكثر خبرة من غيرهم، فيجب أن ينتبه جميع المسؤولين في الجماعة إلى ما قلت جيدا ويجردوا أنفسهم بوجه خاص من كل أنواع الأنانية ليس بالاسم فقط بل يجب أن يكونوا بعيدين من الأنانية في الحقيقة، وعليهم أن يتذكروا دائما قول النبي ﷺ إن صاحب المنصب إنما

هو خادم القوم. وفي موضع آخر قال النبي ﷺ مخاطباً أبا ذر الغفاري: المنصب أمانة، وهذه الأمانة موكولة من قبل الله تعالى، والإنسان ضعيف بطبيعته. فإذا لم تؤدوا حق الأمانة فسوف تُسألون عند الله تعالى. فحاولوا أداء حق هذه المسؤولية والخدمة بكل تواضع وبكل ما أوتيتم من قوة وقدرة، فقد قال النبي ﷺ إن صاحب المنصب خادم القوم، فعليه أن يخدم القوم ويدعو الله تعالى دائماً أن يعينه في كل أمر وفي كل لحظة وعند كل خطوة، عندها يمكن أن يؤدي أصحاب المناصب حق المنصب والخدمة على أحسن وجه. يأتيني بعض الأحمديين أحياناً وعند استفساري يذكرون مجال خدمتهم في الجماعة، فأصحح أخطاء الشباب عادة الذين يقولون: عندي منصب كذا وكذا في هذه الأيام، فأقول لهم: ليس عندهم منصب بل قد كُلفتم بالخدمة. فلو نشأت عندهم فكرة الخدمة لاستطعتم القيام بها على ما يرام. إن الأمثلة التي ضربتها لكم قبل قليل من أسوة النبي ﷺ وأمره لنا عن الخدمة والعدل والمساواة والبساطة، نرى كل ذلك متحققاً في حياته ﷺ

كل حين وآن. فمثلاً، كلما خرج النبي ﷺ للسفر ووُزعت المطايا القليلة على الصحابة وكان لاثنتين - مثلاً - مطية واحدة، واشترك صحابي مع النبي ﷺ في مطية فحتى لو كان صغير السن فكان النبي يعطيه حق الركوب، مثلما كان يأخذه لنفسه.. أي كان يُركب صاحبه ويترجل بالتناوب. هذا هو العدل والمساواة التي أقامها النبي ﷺ.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ٓأَلَّا تَعْدِلُوا ٓاعْدِلُوا ٓهُوَ ٓأَقْرَبُ ٓلِلتَّقْوَىٰ ٓ﴾ (المائدة: ٩)

انظروا كيف قدّم النبي ﷺ أسوته المثالية في هذا الصدد. أضرب لكم مثلاً واحداً بهذا الشأن. عندما فُتحت خيبر التي كانت حصناً مشهوراً لليهود، وزّعت أراضيها على الغزاة المسلمين الذين اشتركوا في الحرب - والمعلوم أن أراضيها خصبة وبها بساتين نخيل - وحين وصل الأمر إلى تقسيم المحاصيل بعد حصادها جاء عبد الله بن سهيل مع ابن عمه مَحِيصَة، ولكنهما افترقا لبعض الوقت، فوجد بعضهم عبد الله بن سهيل وحيداً فقتله ورمى بجثته في حفرة. وكانت هناك قرائن

قوية تشير إلى أن يهوداً قد قتلوه لأنهم أهل المنطقة وقد أخذت منهم أراضيهم، ومن ناحية ثانية لم تكن ثمة إمكانية أن يقتله أي مسلم لعدم وجود أية عداوة بينه وبين أي مسلم آخر. فلما عُرض الأمر على النبي ﷺ - ورغم أنه كانت هناك قرائن قوية لاتهام اليهود بالجريمة كما قلت من قبل، وقد اتهموا بها فعلاً - فقال النَّبِيُّ ﷺ لمحبيصَة: هل لك أن تحلف أن يهودياً قتلته؟ فقال يا رَسُولَ اللَّهِ: أَمْرٌ لَمْ أَرَهُ بِعَيْنِي وبالتالي لا أستطيع أن أحلف. فقال ﷺ: إذن فليحلف اليهود ليبرئوا ساحتهم من قتله. قال محبيصَة: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَوْمٌ كَفَّارٌ يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَحْلِفُوا زَوْراً مِئَةَ مَرَّةٍ. ولكن لما كان الأمر يتعلق بالعدل قال النبي ﷺ: لو حلفوا لخَلَيْنَا سَبِيلَهُمْ. فحلفوا ولم يتعرّض لهم النبي ﷺ قط، ودُفعت الدية لقتل عبد الله بن سهيل من بيت مال المسلمين. هذا هو العدل، وهذه هي الأسوة التي تركها النبي ﷺ. لم يترك النبي ﷺ جانبا من جوانب الحياة إلا وقدم لنا فيه أسوته. خذوا أي جانب من جوانب الحياة تجدوا فيه أسوته الحسنة.

فالاستغراق في العبادة يمثل ضمانا للحياة. وبتقديم التضحيات موتوا قبل أن تموتوا الموت الحقيقي.. ذلك الموت الذي ضربت لكم أسمى الأمثلة له. وإذا أصابكم الموت في هذه الحالة فستبدأ الحياة الأبدية التي تمكنكم من الفوز برضا الله ﷻ

لقد ضربت لكم مثالا على عدله ﷺ، ولكن لو أقيمت نظرة على سيرة كبار المشايخ في هذا العصر لوجدتم أنهم يعقدون بمناسبة مولد النبي ﷺ حفلات ضخمة لن تجدوا فيها إلا السباب والشتائم الموجهة إلى المسلمين الأحمديين. يتشددون كثيرا باسم ختم النبوة ولكن ينتهي بهم الأمر إلى التناول بلغة بذئية ضد المسيح الموعود ﷺ. ولكن انظروا إلى التربية الحسنة التي ربى بها ﷺ صحابته، فمع أن الأحداث كانت تشهد والقرائن تشير بكل جلاء أن اليهود هم الذين قتلوا ذلك المسلم، إلا أن محيصة لم يحلف يمينا كاذبة إذ لم ير الحادث بعينه. أما كبار المشايخ المزعومين.. في هذا العصر.. الذين يدعون بأهم حملة راية الإسلام فإنهم يحلفون كذبا وزورا، ويرفعون ضد المسلمين الأحمديين قضايا زائفة بناء على كذباتهم. يذهبون إلى مخافر الشرطة ويحلفون كذبا ويسجلون القضايا ضد الأحمديين بتهم بذئية وسخيفة جدا. ثم هناك من يدلون بشهادتهم مؤيدين لهم، ولا يخافون الله أدنى خوف. لو كانوا متأسين بأسوة النبي ﷺ لخافوا الله تعالى حتما. لقد قال محيصة إن اليهود سيحلفون كذبا. وفكروا الآن وانظروا من ذا الذي ينطبق عليه هذا الكلام اليوم. رحم الله المسلمين البسطاء الذين صاروا ألعوبة في أيدي هؤلاء المشايخ المزعومين ويتورطون في تصرفات غير لائقة مخدوعين بأقوالهم، ولا يعرفون كم من العائلات والبيوت قد تعرضت للتشرد والهلاك. لقد حرّم الله تعالى بكل شدة أن يسفك مسلم دم مسلم، ومن فعل ذلك عاقبه الله في هذه الدنيا وكتب له العذاب في الآخرة. بينما صار دم المسلم في هذه الأيام أرخص من دم الحيوانات أيضا بالنسبة لهؤلاء القوم. إن النصيحة الأخيرة التي أسداها النبي ﷺ يوم حجة الوداع هي: إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا. فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا. وهكذا قد جعل النبي ﷺ المسلمين مسؤولين عن حماية أعراض وأموال بعضهم بعضا. ولكن ماذا يحدث في هذه الأيام؟ ففي باكستان مثلا ينهب بعضهم بعضا، ويتعرض هناك المسلمون الأحمديون للسرقة والنهب باسم الله، في حين أن النبي ﷺ قال إن الذي ينطق بالشهادة فهو مسلم. رحم الله المسلمين ووقفهم أن يتأسوا بالأسوة الحقيقية التي قدّمها من كان رحمة للعالمين، فيرثوا رحمة الله تعالى. وفقنا الله نحن أيضا أن نتأسى بأسوته ﷺ الحسنة ونصبغ حياتنا بصبغته، آمين.